الفصل الثانى

الراوندية

أولاً ـ التعريف بها :

ومن الحركات الهدامة التى قام بها الفرس من أهل خراسان خلال ذلك العصر حركة الراوندية ، وقد قام بها جماعة من أتباع أبى مسلم الخراسانى الذى احتل فى نظرهم مكانة سامية ومنزلة عالية وغلوا فيه حتى رفعوه إلى مصافى الكمال .

تنتسب طائفة أو جماعة الراوندية إلى مدينة راوند[١] ، إحدى قرى أصبهان أو أصفهان ، وقد خرجت دعوتهم من هذه المدينة ومن ثم نسبوا إليها[٢] .

ظهرت هذه الفرقة عقب مقتل أبى مسلم الخراسانى على يد الخليفة أبى جعفر المنصور عام ١٤١ هـ .

نشأتها :

ونظراً للغموض الذى كان يخيم على هذه الفرقة وعلى الأسباب والأهداف التى خرجت من أجلها هذه الجماعة فإن المؤرخين اختلفوا فى أصل نشأتهم .

فالمسعودى[٣] يرى أنهم شيعة ولد العباس ابن عبد المطلب من أهل خراسان وغيرهم ، فهم يقولون أن رسول الله ﷺ قُبض وأن أحق الناس بالإمامة بعده العباس بن عبد المطلب ، لأن عمه وارثه وعصبته لقول الله تعالى ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَام بَعْضهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فى كتَاب الله ﴾[٤] وأن الناس اغتصبوه حقه وظلموه أمره إلى أن رده الله إليهم وتبرأ وا من أبى بكر وعمر رضي الله عنهما وأجازوا بيعة علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه بإجازته لها (أى إجازة العباس

---

(١) راوند ـ هى مدينة قرب قاشان وأصبهان ، وأصلها راهاوند ، وراوند أيضاً مدينة بالموصل (ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ٣/ ٢٠) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٤/ ٦٤٧ .

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣/ ٢٥٢ .

(٤) سورة الأحزاب آية :

ﷺ بيعة علىّ بن أبى طالب) ، وذلك بقوله : يا ابن أخى هلم إلىّ أبايعك فلا يختلف عليك اثنان ، ولقول داود بن علىّ على منبر الكوفة يوم بويع لأبى العباس : يا أهل الكوفة لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله ﷺ إلا علىّ بن أبى طالب وهذا القائم فيكم يعنى أبا العباس السفاح) .

بينما يرى أكثر المؤرخين أن الراوندية قوم من أهل خراسان من أتباع أبى مسلم خرجوا بعد مقتله يقولون بالتناسخ والحلول(١) .

ويذهب بعض الباحثين إلى أنهم أتباع فرقة إسلامية غالباً هى الكيسانية(٢) التى آمنت بحق آل البيت وأن علياً وارث الرسول ﷺ وقالت بوصية أبى هاشم إلى علىّ بن عبد الله بن عباس ، أى بحق الفرع العباسى وربما ظهرت فى أيام أبى مسلم نفسه أو حتى عند بداية الثورة العباسية ، فقد ورد إسمها فى عام ١٣٥ هـ مما يؤكد أنها كانت فرقة اختصت بالعباسيين فى أول أمرها(٣) .

مما سبق يتبين لنا تضارب الآراء واختلاف الأقوال فى أصل ونشأة الراوندية ، ولعل هذا الاختلاف فيهم نشأ عن كتمانهم للأهداف والأغراض التى يسعون إلى تحقيقها ، وفى رأينا أن الراوندية جماعة من أتباع العباسيين وأنصارهم ، وقد ظلوا على وفائهم للعباسيين حتى مقتل أبى مسلم الخراسانى فلما قتل سخطوا على العباسيين وثاروا عليهم بسبب ذلك ، فشخصية أبى مسلم الفذّة وما اتصف به من سمات وصفات عالية فضلاً عن كونه

---

(١) ابن جرير الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٧/ ٥٠٥ ، وابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٤/ ٦٤٥ ، وابن خلدون ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ٣/ ١٨٥ .

(٢) الكيسانية .. هم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علىّ بن أبي طالب كرم الله وجهه وهم يعتقدون فيه اعتقاداً فوق حده ودرجته من حيث إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس ، ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من صلاة وصيام وزكاة وحج .. فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت وكلهم حيارى متقطعون ، نعوذ بالله من الحيرة (الشرهستاني ـ الملل والنحل ١/ ١٤٧) .

(٣) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ص ٧١ .

صاحب اليد الطولى فى تكوين الدولة العباسية جعلتهم يؤثرونه على دينهم ودنياهم ويقاتلون من أجل الثأر له ، وهذا يدل على ضعف عامل الإيمان فى نفوسهم وإن إسلامهم كان ظاهرياً .

ولاشك أن مقتل أبى مسلم الخراسانى أصبح سبباً فى ظهور مغامرين وطامحين وطامعين قادوا حملات عدائية شرسة وقاموا بحركات استهدفت الخروج على الخلافة العباسية ، بل والخروج على الدين الإسلامى وتعاليمه والعودة إلى دين الفرس القديم (المجوسية) بأفكارها البالية ومعتقداتها الفاسدة .

جمعت الروندية جموعهم وحشدوا قوتهم وعمدوا إلى قصر الخليفة المنصور عام ١٤١ هـ ، فلما أتوه جعلوا يطوفون حوله ويستلمونه ويقولون هذا قصر ربنا وينادون عليه أنت أنت (يعنون أنت الله) ، وقد أثار فعلهم هذا الدهشة والعجب عند الخليفة والمسلمين ومن ثم سارع بالضرب على أيديهم والاستحواذ عليهم قبل أن يستفحل خطرهم ويطير شررهم وقد يحدث خروجهم هذا أثراً كبيراً وسط العرب والمسلمين بسبب أفكارهم الهدامة التى تحالف شريعة الإسلام جملة وتفصيلاً[١] .

عمد المنصور إلى قتالهم وتشريدهم فسجن زعماء الراوندية حتى بلغ جملة من سجن منهم مائتى رجل .

على أن هذه الأفكار التى جاءت بها الراوندية من القول بالتناسخ وإضافة صفة الألوهية إلى المنصور ، وغير ذلك جاءت ملائمة لما كانت عند الفرس من معتقدات قديمة كالمجوسية عبدة النار الذين أثبتوا أصلين أحدهما قديم وهو النور والثانى محدث وهو الظلمة ، والمانونية أصحاب مانى والمزدكية أصحاب مزدك وغيرها .

ولكن الخليفة أبى جعفر المنصور عمد إلى قتالهم وتشريدهم فسجن مائتى رجل من زعمائهم وشدَّ على الباقين حتى شردهم ومزقهم ، فغضبت الراوندية من فعل الخليفة وعزموا على استخراج زعمائهم من السجن ، فيذكر المؤرخون أنهم أعدوا نعشاً وحملوه وليس به أحد وصاروا حتى وصلوا إلى باب السجن فألقوه به وشدوا على الحراس ثم دخلوا السجن فأخرجوا أصحابهم ثم قصدوا المنصور وهم يومئذ ستمائة رجل فدخلوا عليه فجأة كالثيران

---

(١)الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٧/ ٥٠٥ ، وابن خلدون ـ العبر ٣/ ١٨٦ .

الهائجة فتنادى المنصور على أهل الأسواق لعدم وجود جند معه ليقاتلوهم فخرجوا إليهم وقاتلوهم حتى أثخنوهم(١) .

وأراد أحد قواد الخليفة وهو عثمان بن نهيك محاورتهم والتفاهم معهم ففشل وغدروا به فرموه بسهم بين كتفيه فمات به وصلى عليه الخليفة المنصور وقام على قبره حتى دفن(٢) .

كما اشترك القائد خازم بن خزيمة فى قتالهم ومطاردتهم حتى يقى الخليفة شرهم فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى ظهر حائط ثم كروا على خازم بشدة فكشفوا قواته ، ولكن جنود المسلمين تماسكوا وتجلدوا لهذه الفئة الباغية وهجموا عليهم فرجعت الراوندية إلى الوراء حتى استندوا إلى حائط المدينة واستعان خازم بأحد رجاله وهو الهيثم بن شعبة حتى يتمكن من القضاء عليهم أو على أقل تقدير إبعادهم عن قصر الخلافة(٣) .

وقد ظلت الحرب سجالاً بين الراوندية ومن بقى من جنود الخليفة ، وبلغ من خطورة الأمر أن خرج إليهم الخليفة بنفسه فتكاثروا عليه حتى كادوا يقتلونه لولا عناية الله سبحانه التى جاءت برجل طالما جد الخليفة فى طلبه والبحث عنه هو معن بن زائدة الشيبانى(٤) الذى أنقض عليهم كالنسر يقتل يميناً وشمالاً حتى فرقهم وأنقذ الخليفة من براثنهم .

وتجرد معن بن زائدة لقتال الراوندية والتصدى لهم بكل قوة واقتدار حتى شردهم وفرق جموعهم وانتصر عليهم وتمكن من إخماد ثورتهم ، وأعجب الخليفة من شجاعته وشدة بأسه وحسن قتاله ، وكان معن يومئذ متلثماً فاستدعاه الخليفة وسأله من أنت ؟ فقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، وكان الخليفة قد غضب منه بسبب قتاله مع ابن هبيرة ضد العباسيين(٥) فطلبه وجد فى طلبه حتى كانت وقعة الراوندية وظهر

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل ٤/ ٦٤٨ .
(٢) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٧/ ٥٠٧ .
(٣) المصدر السابق ٧/ ٥٠٧ .

(٤) معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيبانى .. من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان والفصحاء ، أدرك العصرين الأموى والعباسى ، تولى إمارة اليمن ثم ولى سجستان ، وقد مات مقتولاً . (ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ٥ , ٤٣) .

(٥) كان الخليفة المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلباً شديداً بسبب قتاله مع ابن هبيرة خصم الخليفة ووعد المنصور بمال وفير لمن يأتيه بمعن بن زائدة ، وذات يوم ظفر به =

معن وقاتل قتالاً شديداً وأبلى بلاءً حسناً فاستحق بذلك عفو الخليفة فعفى عنه وكافأه بولاية اليمن وذلك جزاء المحسنين(١) .

وذكر ابن كثير أن المنصور أمر له بعشرة آلاف درهم مكافأة له(٢) .

وألحق أن معن بن زائدة بانتصاره على هذه الفئة الباغية يكون قد ردَّ عن الخليفة والمسلمين شراً كاد أن يلحق بهم ودفع عنهم عدواً كاد أن يفتك بهم ، ومن ثم أصبح جميل أفعاله جديرة بمحو قبيح أعماله ، حتى امتدحه الشعراء فمدحه مروان بن أبى حفصة فى مطلع قصيدته :

معن بن زائدة الذى زيدت به ... شرفاً على شرف بنو شيبان

إن عدَّ أيام الفعال فإنما ... يوماه يوم ندى ويوم طعان

فأعجب معن بمدحه وكان كريماً فأعطاه مائة ألف درهم ..

فلما علم الخليفة المنصور بهذا استدعاه وقال له هيه يامعن أتعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف درهم لمدحه لك ؟ فقال لا يا أمير المؤمنين إنما أعطيته لقوله :

مازلت يوم الهاشمية زائداً ... بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقائه ... من وقع كل مهند وسنان

فقال المنصور : أحسنت يامعن(٣) .

وبهذا نجح الخليفة المنصور فى القضاء على هذه الحركة الهدامة التى عرفت باسم الراوندية أو الهاشمية نسبة إلى المكان الذى حوصر فيه الخليفة وقضى على فتنة كادت أن تهدد كيان الدولة العباسية والدين الإسلامى معاً .

ثانياً. المبادىء والمعتقدات :

اعتقدت الراوندية عدة معتقدات فاسدة مستمدة من المجوسية دينهم القديم فقالوا بالتناسخ (أى تناسخ الأرواح) والحلول وأن روح آدم حلت فى عثمان بن

= عبد أسود وعرفه ولكن ابن زائدة عرض عليه مالاً وفيراً حتى لا يدل عليه . ولكن هذا الرجل كان أكرم من ابن زائدة حيث رفض أن يأخذ منه مالاً ورفض أن يخبر عنه الخليفة وكتم الأمر في نفسه حتى زالت هذه الضائقة وظهر ابن زائدة بعد أمان المنصور له .

(١) الطبري ـ تاريخ الرسل ٧/ ٥٠٥ ، وابن الأثير ـ الكامل ٤/ ٦٤٣ ، وابن خلدون ٤/ ١٧٧ .

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٧٧ .

(٣) المسعودي ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣/ ٣١٦ .

نهيك[١] ، وأن الله حل فى شخص المنصور وجبريل وهو أبو الهيثم بن معاوية.

وعلى الرغم من أن الراوندية كانت فرقة اختصت بالعباسيين فى أول أمرها إلا أنهم بعد مقتل أبى مسلم أنقسموا على أنفسهم ونادى بعضهم بأفكار الفرس القديمة وآمنت جماعة منهم بالتناسخ وأدعت أن روح الإله حلت فى أبى مسلم ثم انتقلت إلى أبى جعفر المنصور .

وخلاصة هذه العقيدة أن الموت ليس معناه الفناء المحض وإنما تتناقل الروح من جسد إلى جسد ولكن الجسد الثانى الذى تنتقل إليه الروح يكون على حسب أعمال الإنسان فى حياته الأولى ، فإن كانت حسنة إنتقلت روحه إلى طبقة راقية وإن كانت أعماله سيئة إنتقلت إلى طبقة الحيوانات أو النباتات[٢] .

وأن أفراد النوع البشرى الموجودين على وجه الأرض الآن هم أصحاب الأعمال الحسنة وأفراد النوع الحيوانى هم أصحاب الأعمال السيئة .

والحق أن هذه العقيدة الفاسدة تشكل حجر عثرة غي طريق التقدم والإنجاز الحضارى ومعادية لكل ألوان التقدم وفى الوقت نفسه تدعو إلى الرهبنة والعزلة عن مسايرة الحياة ، هذا بالإضافة إلى أنها عقيدة متنافية مع الدين والعقل والقيم الخلقية من حيث نتيجتها النهائية .

وكل هذه خرافات وأفكار هدامة ومخربة صدرت عن الراوندية وهى وإن صدرت عنهم فليس بغريب عليهم أن تأتى أفكارهم ملائمة لما كان سائداً عند الفرس من معتقدات دينية قديمة كالمانوية[٣] والمزدكية[٤]

---

(١) القائلين بالتناسخ أجازوا أن ينقل روح إنسان إلى كلب وروح كلب إلى إنسان وقد ذهبت المانوية إلى النتائج وذلك أن ماني قال أن الأرواح التي تفارق الأجسام نوعان أرواح الصديقين وأرواح أهل الضلالة ، فأرواح الصديقين إذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم وأرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحوق بالنور الأعلى ردت منعكسة إلى أسفل فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة ثم تلتحق بالنور العالي . (البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص١٦٢) .

(٢) سعيد حوى ـ الإسلام ص٧٢٤ .

(٣) المانوية ـ هم أصحاب ماني بت فاتك الحكيم الذي ظهر في زمن سابور بن أردشير وقتله بهرام وذلك بعد ميلاد عيسى بن مريم ، حيث أخذت ديناً بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بأن العالم مركب من أصلين قديمين هما النور والظلمة . (انظر الشهرستاني ـ الملل والنحل ١/ ٥٤) .

(٤) المزدكية ـ وم أتباع مزدك الذي ظهر في أيام قباذ والد أنو شروان ، ومذهبه مثل المانوية ـ =

والزرادشتية[١] وظلت معهم وظلوا على وفائهم لها حتى بعد أن دخلوا الإسلام ولكنهم كبتوا هذه المشاعر بداخلهم لوجود قوة سلطان المسلمين من ناحية ولضعف نفوذهم من ناحية أخرى .

وأصل تلك الديانة أن الفرس اشتهروا من قديم الزمان بميلهم إلى عبادة الظواهر الطبيعية كالنور والظلمة والماء والهواء والنار والسماء وغيرها من الظواهر الطبيعية التى جذبت أنظارهم وجعلتهم يعيدونها على أنها كائنات الاهية وتعددت عندهم آلهة الخير وآلهة الشر ، ومابينهما من نزاع وتصادم دائم ومستمر ، واتخذوا النار رمزاً لآلهة الخير يشعلونها فى معابدهم حتى تقوى على آلهة الشر وهى الظلمة التى كانت ترمز إلى آلهة الشر الملعونة .

كما كانت لهم أنبياء وهم مانى وزرادشت ومزدك ونسبت الديانات إليهم كذباً وزوراً ؟

فلما جاء الإسلام انتسبوا إليه مع احتفاظ بعضهم بالأفكار والمعتقدات الفارسية القديمة والتى عاشوا فى ظلها ردحاً طويلاً من الزمان وشارك الفرس مشاركة فعالة فى قيام الدولة العباسية ، فلما وصلوا إلى مقاليد الحكم وتقلدوا المناصب الكبرى فى الدولة العباسية سعوا إلى إحياء مجدهم القديم فى خفاء ومن تحت ستار ، وساعدهم على ذلك بقاء الفرس على دينهم القديم . واستمرت معابد النار قائمة فى كل ولاية من ولايات فارس تقريباً فى القرون الثلاثة الأولى بعد الفتح الإسلامى[٢] .

وقد اجترأت الراوندية على الابتداع فى الإسلام وأدخلوا فيه ماليس منه من ضلالات وخرافات وأفكار بالية مخربة ، فيتحدث المدائنى عن عقيدة الراوندية بقوله (أن رجلاً من الراوندية كان يُقال له الأبلق وكان أبرص فتكلم بالغلو ودعا بالراوندية فزعم أن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم

= إلا أن مزدك كان يقول أن النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، والعالم في نظره مكون من الماء والأرض والنار . (انظر الشهرستاني ـ الملل والنحل ١/ ٥٧) .

(١) الزرادشتية ـ وهم أتباع زرادشت ، أبوه من أذربيجان ، ومذهبه يقوم على عبادة الله والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الخبائث ، وكان يقول النور والظلمة أصلان متضادان ، وله كتاب يسمى زند ؟

(٢) أحمد أمين ـ فجر الإسلام ص١٠٤ .

صارت فى علىّ بن أبى طالب ثم فى الأئمة واحداً بعد واحد إلى إبراهيم بن محمد [سبط العباس عم النبى ﷺ] وأنهم آلهة ، كما استحلوا الحرمات فكان كل رجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزلة فيطعمهم ويسقيهم ويبيح لهم الحرمات) .

فبلغ ذلك أسد بن عبد الله القسرى فقتلهم وصلبهم فلم يزل فيهم إلى اليوم فعبدوا أبا جعفر المنصور ، وصعدوا إلى الخضراء فألفوا أنفسهم كأنهم يطيرون ، وخرج جماعتهم على الناس بالسلاح فأقبلوا يصيحون بأبى جعفر : أنت أنت (يقصدون أنت الله قاتلهم الله أنّى يؤفكون) فخرج إليهم بنفسه فقاتلهم فأقبلوا يقولون أنت أنت(١) .

ثالثاً. نهاية الراوندية :

على الرغم من قتال المنصور لهذه الحركة الهدامة وتتبعه لآثارها حتى مزقهم وشردهم فى كل جانب إلا أنه لم يتمكن من القضاء عليهم قضاءً تاماً ، فقد كان لهم أتباع مؤيدين لمبادئها ومناصرين لها ، فالفرس أعداء سياسة ودين ، فهما يعملون على ضرب السلطان العربى وسلب النفوذ والسلطة من العباسيين وتحويل الخلافة إلى ملك كسروى ، كما كان أول مرة كما يسعون إلى هدم الإسلام وتقويض أركانه وتشويه صورته وذلك تمهيداً للعودة إلى إحياء المجوسية دينهم القديم أو إلى شكل من أشكالها كالزرادشتية والمانوية والمزدكية .. فهى سلسلة من الثورات الهدامة .

(١) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٢٧ ، حسن إبراهيم ـ تاريخ الإسلام السياسي ٢/ ٨٨